ارتفاع ساحل سوريَّة

للاب غدفريد زُمُرفن مدرّس الطبيعيّات في كليّة القديس يوسف

قد بيّنّا في نبذة سابقة (المشرق ص٣٩٦) انّ ساحل بيروت لا يزال يرتفع مع الزمان وغايتنا اليوم ان نثبت ذلك عن سواحل سوريَّة جمعاء.

قد اجمع الجيولوجيُّون انّ ساحل سوريَّة اصاب الهيئة التي هو عليها اليوم في الطور الرابع لتركيب الارض. فمنذ بدء ذلك العهد اخذ الساحل يعلو شيئًا فشيئًا على طريقة ثابتة في مدّة القرون التاريخية. والبراهين على ذلك عديدة اختصرناها كما سترى

١ (يافا) ان العالمَين الشهيرَين لَرتَه (١ وهول (٢ قد فحصا البطحاء الممتدّة من وراء يافا فاستدلّا على امتداد البحر الى لُدّ ورملة. وذلك انّ تركيب هذه السهول من الرمل المحمرّ المختلط بالحصباء. واذا اقتربتَ من الرملة وجدت ان الارض المجاورة لها تتكوّن من الحصى المستدير الشكل وهو متلبّد ذو أحجام مختلفة ومن ثمّ جمع المسيو لَرتَه انواعًا من الاصداف التي لا تزال الى يومنا تُكتشف في بحر الشام كالاصناف المدعوّة عند العلماء (Murex و Purpura hemastoma Lam. و Pectunculus violascens Lam. brandaris Lin.) فينتج من هذه الملاحظات انّ ما احاط يافا من السهول كانت تغمرهُ مياهُ البحر سابقًا فارتفعت هذه الاراضي مع الزمان وانسحبت عنها المياه.

وزد على ذلك انّ التاريخ يذكر ليافا مرفأً حسنًا كانت ترسو فيهِ بأمن سفن تَرْشيش ولا يجهل اليوم احد انّ هذه البلدة في اسوإ حال من هذا القبيل تساورها الرياح من كلّ جانب فلا تستطيع السفن ان تقترب من ساحلها لما يحيط بهِ من الصخور العديدة المرتفعة فوق سطح المياه. هذا وان القعر ليس بعميق كثيرًا ما تمسُّهُ مجاذيف البحريين. فتُرى ما يكون سبب ذلك أليس ارتفاع الساحل؟. وقد ارتأى المسيو فراس ان المرفأ القديم كان في شمالي يافا في وسط السهول المكتنفة بالبلدة (٣

---

١) راجع Lartet : *Exploration de la mer Morte*, III, p. 170

٢) Hull : *Memoir of the Geology and Geography of the Palestine*, p, 65

٣) راجع Fraas : *Aus dem Orient*, p. 45

٢ (صور) كانت صور قاعدة بلاد فينيقية سابقًا مبنيَّة في جزيرة مستطيلة قليلة العرض يحجزها عن البرّ مسافة اربع غلوات (٧٢٠ متر). واليوم ترى البلدة متَّصلةً بالبرّ لا يكاد يبقى اثر لمرافئها الشهيرة حيث كانت تقيم عمارة صور في القرون القديمة. وما كان محفورًا من هذه المرافئ القديمة تراهُ الآن مغطًّى بالرمال وغيرها. ولا سبيل الى القول انَّ آثار السدّ الذي بناهُ الاسكندر بين الجزيرة والبرّ هي التي طمَّت المرفأ وسدَّتهُ لانَّ الصخور المرتفعة حتى سطح الماء هي المانعة لسير المراكب فيها. وقد تحقَّق الموسيو تيوبلد فيشر انَّ المحلّ الذي فيه اليوم موقع بيوت البلدة كان في القرن الماضي بحرًا وصار الساحل حيث كانت ترسو السفن سابقًا (١

٣ (عتيه) عند عتيه بين صيداء وبرك التلّ صخور مرتفعة مشرفة على البحر يسفحها تموج امواجهُ وهي مركَّبة من المواد الكلسية المبيَّضة ذات الطبقات يعلوها مجموع من الحصباء المستديرة المتوسّطة الحجم المتكتّلة هذا ومع كوني لم ألحظ فيها اصدافًا بحريَّة لا اشكّ ان البحر كان يغطّيها في سالف الزمان فارتفعت الآن ارتفاعًا يذكر

وكذا قل عن السهل الممتدّ منبسطًا بين نهر الزهراني وصيداء وفيه كلّ ملامح ساحل قديم البحر

٤ (صيداء القديمة) قد ارتفع ايضًا ساحلها. وقد تبيَّن ذلك الموسيو لرته بفحص احواض مرفإ صيداء الحديثة فوجد قعره قليل العُمق بحيث لا تستطيع السفن ان ترسو عنده كما في السابق

ثمَّ يوجد تجاه صيداء كما يوجد امام صور وطرابلس جزائر صغيرة مركَّبة من الرمل والاصداف المتلبّدة اللاصقة بعضها. وقد كانت هذه الجزائر مغمورة بعباب البحر فارتفاع الساحل اضحت اليوم خافيةً فوق المياه خطرةً للملاّحين

هذا ونعلم انَّ كثيرًا من المرافئ القديمة كان يطمرها اصحابها بالحجارة منعًا لمرور سفن الاعداء. غير انَّ ذلك لا يكفي لبيان قلَّة غور البحر في اماكن كثيرة لولا انَّ الساحل يرتفع ارتفاعًا متتابعًا كما بيَّنَّا

وان قال قائل ان مرافئ الاقدمين لم تُبْنَ كمرافئنا الحديثة وانما كان قعرها قليل العُمق لصغر سفن ذلك الزمان أجبنا انَّ ما كان لمرافئ فينيقية من الشهرة لا يتحقَّق البتَّة في ما

(١ Fischer: *Küstenveranderungen im Mittelmeergebiete*

بقي من آثارها اليوم فلا بُدّ اذًا ان يقال انهُ حدث فيها تغيير في نفس تركيبها

٥ (بيروت) انّ ما ذكرناهُ سابقًا (ص ٣٩٦) عن ساحل بيروت وما جاورهـا تكافي لبيان قضيتنـا. قال روسّيغر (Russeger) احد علماء الجيولوجية: «لا يتردّد الجيولوجيون في القول بنقص غَوْر مياه البحر في بيروت وهم يرتأون انّ الاراضي المجاورة لمصبّ نهر الكلب كانت قديمًا مرفأ للسفن. هذا وانّ آثار امواج البحر في الصخور المرتفعة دليل على ذلك كما ترى ايضًا مرابط للمراكب منقورة في الصخر المتعالي». وقد زدتُ على هذه البراهين ما اكتشفتهُ من الاصداف البحريّة اللاصقة في الصخور فعليك بالمراجعة

وهنـا لا يسعنا ان نضرب صفحًا عن زعم بعض المحدثين الذين غالوا في بيان قضيّة ارتفاع الساحل فذكروا انّ السُّفُن كانت تخر مياه نهر الكلب في قديم الزمان. وهو قول يخلو من الصحّة سندوهُ الى بعض اقوال اسطرابون في كتاب جغرافيته (الجزء السادس عشر العدد ١١ و١٦) واسطرابون يتكلم هناك عن اهل ارواد لمّا كانوا يقطعون بسفنهم نهرًا آخر موقعهُ وراء لبنان اسمهُ باليونانية لوكوس (Λύκος) وكذا يسمّى فيها نهر الكلب

امّا ارتفاع الساحل من نهر ابرهيم الى جُبيل فبيّن في عدّة اماكن من سيف البحر حيث ترى فوق سطحهِ في علوّ ستة امتار الى عشرة صخورًا متركبة من الاصداف البحريّة وهذا دليل صادق على انّها كانت سابقًا تحت مياه البحر فأخلاها بتوالي الاجيال

٦ (جُبيل) قد بُنيت جبيل فوق طبقة من حصى البحر المتلاصق ببعضهِ حتى اضحى صلدًا شبيهًا بالصخور وربّما اتُّخذت منها حجارة للبناء. وعلى مثل هذه الحجارة بُني البرج الكبير فلا يبقى بعد ذلك محلٌّ للشكّ في انّ ساحل جبيل ارتفع على طول امتداده. ولا ننكر انّ ما رسب بعد جريان مياه الأنهار والسهول قد زاد ايضًا في هذا الارتفاع بعض الزيادة

٧ (البترون) امامها سهلٌ نعلّل وجودهُ بذات العلل المذكورة آنفًا اعني ارتفاع الساحل ورواسب مياه نهر الجوز

٨ (الاسكندرونة) قد لاحظ العلماء انّ ساحلها لا يزال يتّسع عرضًا فيرتفع قعر البحر وما رسب فيهِ وتنسحب المياه هابطة

وقد زعم العلاّمة دينر[1] انّ في سنة ٤٢ قبل المسيح كان يتّصل البحر بطرسوس وانّ

[1] راجع Diener: *Libanon*, p. 100

هذه المدينة لم تَعُد ساحليّةً في أيّام بلين الطبيعي وانّ البحر لم يزل في هبوط والساحل في تصاعد حتى صارت اليوم على نيّف وثلاثة اميال من البحر . واستشهد المسيو دينر لتأييد رأيهِ بقول المؤرّخ پلُوترك اذ قال ان الملكة كلاوپترة ركبت البحر من الاسكندريّة الى طرسوس لتجتمع بانطوان القائد

(قلتُ) اني راجعت النصَّ المستشهَد بهِ في تاريخ پلُوترك فلم اجد في قرينة الكلام داعياً لتفسيرهِ كما فعل المسيو دينر . فضلًا عن انَّ الكاتب يذكر هناك صريحًا انَّ كلاوپترة ركبت نهر السدنوس صاعدة على فلكٍ وهذا نصُّ المؤرّخ :

Ὥστε πλεῖν ἀνὰ τὸν Κύδνον ποταμὸν ἐν πορθμείῳ χρυσοπρύμνῳ .... Τῶν δὲ ἀνθρώπων οἱ μὲν εὐθὺς ἀπὸ τοῦ ποταμοῦ παρωμάρτουν ἐκατέρωθεν, οἱ δὲ ἀπὸ τῆς πόλεως κατέβαινον ἐπὶ τὴν θέαν (Plutarque, *Antoine* ,XXVI)

فينتج ممَّا تقدَّم ان ساحل سوريَّة على طول مداهُ قد ارتفع في الازمنة التاريخية . وانَّ ذلك يظهر خصوصًا من ترب غَوْر المياه في المرافئ القديمة كيافا وصور وصيداء وطرابلس ومن الرواسب البحريَّة التي نراها الآن مرتفعةً فوق سطح البحر والله اعلم

غريغوريوس ابو الفرج المعروف بابن العبري

الاب لويس شيخو اليسوعي

(تابع لما قبل)

٥ كتبهُ الطبيَّة

قد مرَّ انَّ ابن العبريّ كان راسخ القدم في فنّ الطبّ يعدُّهُ معاصروهُ حكيمًا نطاسيًّا من احذق اطباء عصرهِ وقد بيَّنَّا ما نالهُ لذلك عند الوجوه والاعيان لاسيَّما ملوك التتار من الحفاوة والاكرام . بيد انَّهُ لم يكتفِ بمزاولة هذه الصناعة الشريفة التي عليها يتوقَّف اعتدال الامزجة وقوام الابدان بل احبَّ ان يفيد آل عصره بتآليفهِ الطبيَّة ويورث السلف ميراثًا حسنًا اكتسبهُ بحذقهِ وخبرتهِ

وهذا الارث الجليل عبارة عن شروح وتلخيصات وترجمات وتآليف خاصَّة . فلابن